بِنْيَةُ الْكَلِمَةِ وَدَوْرُهَا فِي تَعْلِيمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِلنَّاطِقِينَ بِغَيْرِهَا وَفَهْمِ مَعَانِيهَا

محمد عزيز عبد المقصود سيد أحمد

كلية اللغة العربية، جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية، قدح، ماليزيا

mohammadaziz1974@yahoo.com

محمد راضي محمد الباز الشيخ

كلية اللغة العربية، جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية، قدح، ماليزيا

الملخص: فَهَذَا بَحْثٌ فِي بِنْيَةِ الْكَلِمَةِ وَلِبِنْيَةِ الْكَلِمَةِ؛ لِمَا لِلْكَلِمَةِ مِنْ سِيَاقَاتٍ عَدِيدَةٍ وَفَرِيدَةٍ وَمُؤَثِّرَةٍ، وَقَدْ حَرَصَ عُلَمَاءُ اللُّغَةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا عَلَى رَبْطِ بِنَى الْكَلِمَاتِ بِمَعَانِيهَا، وَمِنْ ثَمَّ يَأْتِي دَوْرُ السِّيَاقِ بِكَافَّةِ أَنْمَاطِهِ فِي إِظْهَارِ هَذِهِ الْمَعَانِي، فَقَدْ يَقْبَلُ سِيَاقٌ مَعْنًى لِبِنْيَةٍ لَا يَقْبَلُهُ لِبِنْيَةٍ أُخْرَى، وَمُنْطَلِقًا مِنْ فَرْضِيَّةٍ تَتَجَلَّى فِي أَنَّ بِنْيَةَ الْكَلِمَةِ لَهَا دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي فَهْمِ الْمَعَانِي، وَأَنَّ تَغَيُّرَهَا يُؤَدِّي إِلَى مَعَانٍ مُتَنَوِّعَةٍ تُسْهِمُ فِي الارتِقَاءِ بِالثَّرْوَةِ اللُّغَوِيَّةِ لِمُتَعَلِّمِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِلنَّاطِقِينَ بِغَيْرِهَا، وَثَمَّةَ أَهْدَافٌ لِهَذِهِ الدِّرَاسَةِ تَتَمَثَّلُ فِي بَيَانِ أَثَرِ التَّمَاسُكِ النَّصِّي بَيْنَ بِنَى الْكَلِمَاتِ وَمَعَانِيهَا، وَالْإِفَادَةِ مِنْ أَثَرِ هَذَا التَّمَاسُكِ فِي تَعْلِيمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِلنَّاطِقِينَ بِغَيْرِهَا وَتَعَلُّمِهَا، وَبِنَاءِ لَبِنَةٍ مِنْ لَبِنَاتِ الرُّؤَى الْعَصْرِيَّةِ لَفَهْمِ قَوَاعِدِ لُغَتِنَا الْحَبِيبَةِ الْحَيَّةِ، وَمِنْ ثَمَّ نُقَدِّمُ عَمَلًا يُسْهِمُ فِي بِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ، وَيَنْهَضُ بِمُسْتَوَى أَفْرَادِهِ لُغَوِيًّا، وَمُؤْمِنًا بِأَنَّ مَسْئُولِيَّةَ بِنَائِهِ، وَالارْتِقَاءِ بِأَفْرَادِهِ مَسْئُولِيَّةٌ جَمَاعِيَّةٌ، وَمُجِيبًا عَنْ عِدَّةِ تَسَاؤُلَاتٍ قَدْ تَتَرَاءَى لِمُتَعَلِّمِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِلنَّاطِقِينَ بِغَيْرِهَا مِنْ مِثْلِ: هَلْ يُمْكِنُ أَنْ نُعِيدَ قَرَاءَةَ تُرَاثِنَا اللُّغَوِيّ، وَنُقَدِّمَ رُؤَى عَصْرِيَّةً تُسْهِمُ فِي تَعْلِيمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِلنَّاطِقِينَ بِغَيْرِهَا وَتَعَلُّمِهَا؟ وَكَيْفَ يُمْكِنُ لِلنَّاطِقِينَ بِغَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ اكْتِسَابُ الْمَعَانِي الْمُتَنَوِّعَةِ مِنْ خِلَالِ مُرَاعَاةِ سِيَاقَاتِ بِنَى الْكَلِمَاتِ؟ وَهَذَا مَا سَوْفَ تُجِيبُ عَنْهُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ مُسْتَمِدَّةً مَنْهَجِيَّتَهَا مِنْ الْمَنْهَجِ التَّحْلِيلِيّ.

الكلمات المفتاحية: بنية الكلمة، تعليم، اللغة العربية، الناطقين بغيرها.

المقدمة

البنية لغة جاء في لسان العرب يُقال: بِنْيَة، وهي مثل رِشْوَة، ورِشًا، كأن البنية الهيئة التي بُني عليها، مثل المِشْيَة والرِّكْبة (ابن منظور، د. ت.). وعندما تكلم علماء التصريف عن تعريف علم الصرف أشاروا إلى ربط البنية بالمعنى، ومن ذلك قول الأشموني أي تصريف الكلمة هو تغيير بنيتها بحسب ما يعرض لها من المعنى ... ولهذا التغيير أحكام (الصبان، 1997). وقيل المراد من بناء الكلمة ووزنها وصيغتها هيئتها التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها، وهي عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة، وسكونها مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كل في موضعه (الاستراباذي، 1982). وثمة تشابه بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي لكلمة "بنية"؛ حيث يراد بها "الهيئة"، ومن هنا يتكامل المعنيان؛ ليؤديا مفهوما متقاربا ومتشابها تترتب على اشتقاقاته عدة معانٍ تختلف باختلاف سياقاتها.

ولا شك أن هناك تعانقًا بين مستويات اللغة الأربع الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تكوّن لبنات التركيب اللغوي، وفي كل هذه المستويات تتجلّى لبنة أساسية تعد عاملا مهما في بناء هذا التركيب، ألا وهي الكلمة. والكلمة لغة جاء في المعاجم اللغوية يُقصد بها اللفظة الواحدة المفهمة، وتجمع على "كَلِمات" و "كَلِم" (الفيروزآبادي، 2005). وعقد سيبويه بابا في الكتاب سماه "هذا باب علم ما

الكلم من العربية"، وذكر أقسام الكلمة في قوله "فالكلم: اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل" (سيبويه، 1988). ثم ذكر أمثلة للاسم، نحو: رجل، وللفعل الماضي، نحو: ذهب، وللفعل المضارع، نحو: يذهب، وللفعل الأمر، نحو: اذهب، وللحرف الذي جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، نحو: سوف (سيبويه، 1988). وعرفها السيوطي في قوله "وأحسن حدودها: قول مفرد مستقل، أو منويّ معه" (السيوطي، 1990). وأشار إلى نحو ذلك ابن عقيل في شرحه؛ حيث قال "هي اللفظ الموضوع لمعنى مفرد" (ابن عقيل، 1997). وبيّن فاضل السامرائي المقصود بهذا التعريف في قوله "ومعنى هذا التعريف أن الكلمة هي اللفظ الواحد المركب من بعض الحروف الهجائية، ويدل على معنى مفرد، نحو: زيد، كتاب، جبل، فإن لم يدل على معنى فليس بكلمة، نحو: (ديز) مقلوب (زيد)، وغن لم يكن المعنى مفردا فليس بكلمة أيضا، نحو (جاء محمد)" (السامرائي، 2014). ويقول عباس حسن "الكلمة هي اللفظة الواحدة التي تتركب من بعض الحروف الهجائية، وتدل على معنى جزئي؛ أي "مفرد"، فإن لم تدل على معنى عربي وُضعت لأدائه، فليست بكلمة، وإنما هي مجرد صوت" (عباس حسن، د.ت.).

ومما سبق نخلص إلى أن الكلمة بنيان مفرد له سمات وملامح متنوعة سواء أكانت تلك السمات معجمية أم صوتية أم صرفية أم نحوية؛ حيث يمكن لها أن تؤدي دورا مؤثرا وقويا في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها إذا أمكن معالجتها معالجة ممنهجة في سياقات متنوعة، وسوف نتناول بعضا من هذا فيما يأتي.

منهج البحث

جاء منهج البحث متمثلا في المنهجين الوصفي والتحليلي من خلال بيان مفهوم الكلمة عند القدماء والمحدثين من حيث ربط البنية بالمعنى، وإمكانية تقديم ذلك للناطقين بغيرها من خلال تناولها في سياقات لغوية متنوعة صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا مع تحليل كل مستوى وحده، وتقديم نماذج عليه مع ملاحظة مستوى المتعلم، وما يتناسب معه من مستويات لغوية.

علم الأصوات وبنية الكلمة

علاقة بنية الكلمة بعلم الأصوات علاقة وطيدة؛ حيث إن أية كلمة هي مكونة من عدة أصوات انتظمت فيما بينها بناء على ضوابط صرفية محددة سواء أكانت سوابق أم لواحق أم دواخل كوّنت لبنة جديدة لها سمات خاصة قد تختلف من سياق لآخر مع اختلاف دلالتها؛ لذا يمكن القول: إن العلاقة بين علم الأصوات وبنية الكلمة علاقة تكاملية لا غنى لواحدة عن الآخرى؛ فالصوت لا فائدة له منفردا إلا إذا اتخذ – من خلال عدة أنماط معينة – شكلا آخر، فتصبح له قيمة وقدر؛ لأنه شكّل بنية جديدة اكتسبت معاني جديدة.

ولذا فإن الكلمات تتألف بضم الأصوات بعضها إلى بعض، والأصوات وهي صامتة ساكنة تكون خلوا من المعاني، بل لا يستطاع النطق بها حتى يتوصل إلى ذلك بحروف اللين أو الحركات (ربيع عمار، 2007). وفي تعريف ابن جني للغة تبرز لنا أهمية الأصوات بوصفها المكون الرئيس لبنية الكلمة التي تُكوّن فيما بعد نصا متكامل البنيان؛ حيث يقول "أما حدها فإنها أصوات يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم" (ابن جني، د.ت.). ولا شك أنه لابد لمتعلم اللغة العربية من التدريب على نطق أصواتها نطقا صحيحا قبل استخدام كلماتها منفردة أو في سياقاتها؛ لأنه لا يمكنه من امتلاك نواصيها إلا بعد التدريب على الأصوات وصفاتها سواء أكانت أصواتا صعبة كما في نطق حرف مثل "الضاد"، أو سهلة كما في غيرها، مثل: الميم والباء ... إلخ.

وكذلك لابد له من التدريب على التفرقة بين نطق بعض الحروف التي قد توقعه في خلط بين المعاني إذا أخطأ نطق الحرف، كما في الفرق بين "قلب" و" كلب"، وهكذا. إن المكوّن الصوتي يسبق غالبا المكمل الصوتي؛ لأن انطلاق الدلالة منه وارتكازه عليه، ولا يكاد هذا النسق ينكسر إلا عند توسيع البنية إلى البنية الرباعية، فيمكن أن يسبق المكمل المكون؛ لأن البنية الثلاثية إلصاقية، أما الرباعية فهي اندماجية تعيد تشكيل البنى الصوتية في إطار المعنى الواحد تشكيلا حرا (نعجة، 2001). وأضحى بدهيا في اللسانيات الحديثة العلائق الوشيجة بين الأصوات والصرف، حيث تعد الدراسات الصوتية أول خطوة في أية دراسة لغوية مرورا بأبنية الكلم انتهاء بالتراكيب اللغوية، وهي التي تتناول الصوت باعتباره المادة الخام للكلام الإنساني، فالصرف وفق هذا التصور الحديث يعتمد اعتمادا كليا على نتائج علم الأصوات ، وكذلك الحال النحو يعتمد على ما يقدمة الصرف من نتائج، والدراسات الصرفية التي لا تستند مباحثها على نتائج الدراسات الصوتية لا شك ستكون ناقصة وقاصرة، إن لم تكن فاشلة. يقول فيرث: إن أية دراسة لسانية على أي مستوى من مستويات البحث الكلمة أو الجملة لا يمكن أن تتم ما لم تعتمد على قواعد صوتية وأنماط تنغيمية، وإنه لمن المستحيل أن تبدأ دراسة الصرف بدون تحديد صوتي لعناصره أو بدون التعرف على هذه العناصر بوساطة التلوين الصوتي، والظواهر الصوتية تؤدي دورا بارزا في تحديد الوحدات الصرفية وبيان قيمتها، ويضيف بأن علم الصرف لا قيمة له ولا وجود له بدون علم الأصوات، وذلك لأن مباحث علم الصرف قائمة على ما تقدمة الدراسات الصوتية من حقائق وقوانين (تعالق المستوى الصرفي، د. ت.).

وتتجلى العلاقة في بنية الكلمة بين الصوامت والصوائت مكونة عدة معانٍ تستخدم في سياقات متنوعة بين متغير وثابت؛ لنرى من خلال التحول الداخلي للكلمة كيف يمكنها أن تؤدي معاني متنوعة إذا أمكن استخدامها استخداما جيدا، وهذا يتضح لنا من خلال ما ذكره عبد الصبور شاهين في قوله "فنظرتنا إلى بناء الكلمة العربية تدلنا على أن فيها عنصرًا ثابتًا، وآخر متغيرًا، أما الثابت فهو مجموعة الصوامت التي تؤلف هيكل الكلمة، وأما المتغير فهو مجموعة الحركات التي تحدد صيغتها، وتمنحها معناها، وبذلك تزداد قيمة الحركات باعتبارها العامل الحاسم في خلق الكلمة العربية، وحسبنا أن نأخذ ثلاثة صوامت، ثم نرى ما تفعله الحركات بها، فالصوامت الثلاثة: ك ت ب (k t b) تعتبر مادة لمجموعة من الصيغ التي تؤخذ منها، ولكن هذه الصيغ لا تتحقق إلا بوساطة الحركات، فالفعل الماضي " كَتبَ" مبني للمعلوم، والفعل "كُتِبَ" مبني للمجهول، والمفرد "كتاب"، والجمع "كُتُب"، والوصف "كاتِب"، وهكذا نجد أن الصوامت الثلاثة ثابتة، وأن استعمال المتكلم للحركات هو الذي يعطي مجموعة الصيغ الممكنة، وهو ما أطلق عليه "التحول الداخلي"، ومن الواضح أن الصوامت وحدها لا تكون مقاطع، وإنما يكونها دخول الحركات عليها، وارتباطها بها، وهذه الخاصة تتميز بها اللغة العربية على لغات كثيرة، ولا سيما اللغات الأوربية، تلك التي تعتمد على إلصاق زوائد بأول الأصل الثابت أو بآخره دون أن تترك أي تغيير في داخله" (عبد الصبور شاهين، 1980).

ومن المبادئ الأساسية في تعليم بنية الكلمة والجملة للناطقين بغير العربية مبدأ الممارسة النحوية بشكل عام والصرفية بشكل خاص، وهذه تعدّ مقولة تربوية أساسية في تعلم اللغات الحديثة؛ لأنّ اللغة إنما هي ممارسة، وكما يقال use it or lose it، فلا يكفي أن نقدم البنية الصرفية للطالب، بل لا بد أن يتجاوز ذلك لممارستها في سياقات مختلفة من اللغة العربية الفصيحة الحديثة. والكشف عن الأنماط اللغوية أيضا مبدأ متصل بالمبدأ السابق من حيث إنّ الدارس يصبح معنيا بمعرفة سر الجملة العربية وكيفية تركيبها، فإذا عرف الدارس كيفية تركيب الجملة العربية كان عليه من السهل أن يركب جملا صحيحة (أبو عمشة، 2017).

وفي العربية عدد لا بأس به من اللواصق، وهي وسائل إثراء للغة، ومع ذلك فإن هذه اللواصق تخضع بشكل عام لنظام التحول الداخلي (المجالي، 2003). ولا شك أن هناك أمرين مهمين في إثراء اللغة وإنتاج جمل عديدة، وهما: الكفاءة والأداء؛ ولذا يمكن القول إن امتلاك اللغة مهارة تتأتى للمتعلم إذا كانت لديه كفاية لغوية وأداء لغوي متناسبان، ومن ثَمَّ فكل من يكتسب هذه المهارة يكون بإمكانه إنتاج

جمل متنوعة (بلقاسم، 2010). ونأمل أن نصل بالمتعلمين إلى ما يُسمى بالكفاية الاستراتيجية، والمقصود بها "قدرة الفرد على اختيار الأساليب والاستراتيجيات المناسبة للبدء بالحديث أو لختامه، والاحتفاظ بانتباه الآخرين له، وتحويل مسار الحديث، وغير ذلك من استراتيجيات مهمة لإتمام عملية الاتصال" (أبو عمشة، 2017).

علم الصرف وبنية الكلمة

لا شك أن علم الصرف قائم على التعامل مع بنية الكلمة بأنماطها وأشكالها المتنوعة؛ حيث جاء في تعريف علم الصرف أنه "التغيير الذي يتناول صيغة الكلمة وبنيتها؛ لإظهار ما في حروفها من أصالة، أو زيادة، أو حذف، أو صحة، أو إعلال، أو إبدال، أو غير ذلك من التغيير الذي لا يتصل باختلاف المعاني" (عباس حسن، د.ت.). وهذه الأبواب الصرفية السابقة يمكن توظيفها في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها إذا أمكن استخدامها جيدا مع تقديمها في سياقات متنوعة، ولناخذ مثالا لهذا صيغة "خ ر ج" من حيث باب الأصالة والزيادة على النحو الآتي: "خَرَجَ" بابه "فَعَلَ"، وهو فعل ثلاثي صحيح مجرد إذا قلنا: خرج محمد من البيت فإن معناه يختلف عن قولنا: "أَخْرَجَ" المزيد بحرف في قولنا: أخرج أحمد محمدًا من البيت، والمزيد بحرفين في قولنا: تَخَرَّجَ محمد في كلية اللغة العربية، و"اسْتَخْرَجَ" المزيد بثلاثة أحرف في قولنا: استخرج أحمد محمدًا من البيت، فالصيغة واحدة "خَرَجَ"، لكن عندما زدنا حرفا أو حرفين أو ثلاثة، واستُخدم الفعل في سياقات متنوعة اختلفت المعاني، وهذا بدوره يساعد في تنمية الثروة اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها خاصة المستويات المتقدمة.

فصيغة "خَرَجَ" تدل على قيام محمد بالخروج بنفسه، وكذلك "تَخَرَّجَ"، في حين: "أَخْرَجَ" تدل على أن خروج محمد من البيت ليس بنفسه، وإنما هناك من أخرجه، وهو "أحمد"، وليس فيه معنى الطلب، وكذلك مع: اسْتَخْرَجَ فإنه يدل على أن خروج محمد تم بناء على طلب أحمد، وهذه المعاني تُفهم من سياقات صيغة الفعل المتنوعة من خلال استخدام الكلمة مجردة أو مزيدة. وهذا الاستخدام المتنوع للصيغ يُقدَّم للمتعلمين في نصوص متنوعة مع تنميته تنمية بنائية من خلال تنوع الأمثلة الوظيفية، وممارستها ممارسة وظيفية؛ حتى يؤتي ثماره معهم.

ولقد فطن الخليل قديما إلى عدة قواعد في بناء الكلمة، ومنها بناء الكلمات فوق الثلاثية، ومن ذلك قوله فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من حروف الذَلَق أو الشفوية. ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك، فاعلم أن تلك الكلمة مُحْدَثَة مبتدعة، ليست من كلام العرب؛ لأنك لست واجدا من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذَلَق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر (الفراهيدي، د.ت.). ويقول في موضع آخر مبينا كيفية بناء الأسماء والأفعال في العربية، فقال وليس للعرب بناء في الأسماء ولا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف، فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل أو اسم، فاعلم أنها زائدة على البناء، وليست من أصل الكلمة، مثل قَرَعْبَلانة، إنما أصل بنائها: قَرَعْبَلَ، (ابن منظور، د.ت.). ومثل عنكبوت، (ابن منظور، د.ت.). إنما أصل بنائها: عَنْكَبَ (الفراهيدي، د.ت.).

ومعنى هذا أنه يمكن تنمية الثروة اللغوية لدى المتعلمين من خلال الزوائد واللواحق التي تلحق الأفعال، ومن ثم يمكن للكلمة أن تؤدي معاني متنوعة من خلال أصلها مع زيادة بعض الحروف عليه، وظهر هذا جليا من خلال كلمة "خرج" التي سبق الحديث عنها. وأشار كمال بشر إلى هذا الأمر في صورة تطبيقية في قوله "ليس من النادر أن نجد التبادل بين الحركات يؤدي إلى تفريق صرفي وظيفي، كان تنتمي صيغة ما إلى جنس صرفي معين، وبتغيير إحدى حركات هذه الصيغة نصل إلى جنس صرفي آخر، قارن: إعلام "بكسر الهمزة"

بقولنا: أعلام "بفتح الهمزة"، فالصيغة الأولى مصدر الفعل "أعلم"، والثانية جمع "علم"، وهذا النوع من المثلة كثير الورود في العربية، نحو: إنباء، وأنباء، وإحكام، وأحكام ... إلخ.(بشر، 1998).

الحركات الإعرابية وبنية الكلمة

ينبغي ونحن نعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها ألا نقدم لهم المصطلحات أولا بل نركز لهم على المفاهيم، ومن ثمَّ يمكنهم الربط بين المفهوم والمصطلح بعد قراءة النصوص والتعامل معها، بل سيُمَكِّنُهم ذلك من معرفة وسائل الترابط النصي وأثرها في تماسك النصوص. وفي معنى الإعراب وأهميته يقول ابن جني "هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ؛ ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيد أباه، وشكر سعيدا أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه" (ابن جني، د.ت.).

وأشار عبد القاهرة إلى نحو ذلك في قوله "اللفظ تبع للمعنى في النظم، وأن الكلم تترتب في النطق بسبب معانيها في النفس، وإنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتا وأصداء حروف، لما وقع في ضمير ولا هاجس في خاطر، أن يجب فيها ترتيب ونظم، وأن يجعل لها أمكنة ومنازل، وأن يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك" (الجرجاني، د. ت.). وبيّن كمال بشر أهمية الحركات في المستوى النحوي في قوله "أما وظائف الحركات على المستوى النحوي فهي ذات خطر وشأن، ويكفي أن ندرك أن الإعراب في جملته يقوم على الحركات، فهي علاماته الأصلية في كل الحالات، وهي كذلك دالته في الإعراب "النائب" في معظم الحالات، كما أن الاختلاف في حركات الإعراب دليل الاختلاف في الوظيفة النحوية للكلمة، والفتحة كما هو معروف، علامة النصب، على حين أن الضمة علامة الرفع، والكسرة علامة الجر" (بشر، 1998).

ولذا تُعَدُّ الحركات جزءا من بنية الكلمة، ولها دور مؤثر في تحديد المعاني، وإذا فهم متعلم العربية حركة الكلمة جيدا ، من خلال الملاحظة والاستنتاج، ومتابعة تغيرات بنية الكلمة دون أن يتعلم القاعدة أولا، استطاع أن يتعلمها بسهولة، ومن ذلك ما يمكن تقديمه له في صور مكونات بنية الجملة الاسمية ونواسخها على النحو الآتي: المدرسةُ جميلةٌ، صاحبُ الحقِّ منتصرٌ، محمدٌ ناجحٌ، الصدقُ مفتاحُ الخيرِ، الطالبُ كاتبُ الدرسِ. المبتدأ إذا كان مفردا معرفا بأل كما في كلمة "المدرسة" فلا يُنوّن، بل يأخذ حركة واحدة، وهي الضمة ، نحو "المدرسةُ"، و"الطالبُ"، وكذلك إذا كان مضافا؛ أي بعده مضاف إليه، نحو "صاحبُ الحق"، وإذا خلا من أل فإنه ينون؛ أي يأخذ حركتين، نحو "محمدٌ". وكذلك مجيء الخبر إذا كان مفردا نكرة فإنه ينون، نحو "جميلةٌ"، و"ناجحٌ" في حين لو جاء مضافا فإنه لا ينون، بل يأخذ حركة واحدة ، نحو "كاتبُ الدرس".

ويتجلى أثر الحركة الإعرابية في اختلاف المعاني في الأمثلة الآتية: ما أجملُ محمدٍ؟ ما أجملَ محمدًا! ما أجملَ محمدٌ. وبالنظر إلى حركة "أجمل" نلمح أن مجيئها بالضمة "أجملُ" يجعلها اسما وما بعدها يعرب مضاف إليه، وعليه فإن "ما" ستكون استفهامية، والأسلوب أسلوب استفهام. وعند استخدام "أجملَ " في المثال الثاني نجدها منصوبة سياقها يجعلها فعلا دالا على التعجب، وما بعد الفعل يعرب مفعولا به، وعليه ف "ما" ستكون تعجبية، والأسلوب أسلوب تعجب. وفي المثال الثالث نجد أن كلمة "أجملَ" جاءت بالنصب كذلك، وسياقها يجعلها فعلا ماضيا، وما بعد الفعل يعرب فاعلا، وعليه ف "ما" نافية، والأسلوب أسلوب نفي.

دور السياق في تعليم العربية للناطقين بغيرها

ثمة اهتمام كبير لدى اللغويين العرب قديما وحديثا بالسياق؛ حيث تتماسك مكوناته من متكلم ومخاطب ورسالة ومقام فيما بينها، ويتولد عن هذا التماسك خلْق بيئات لغوية عديدة خاصة في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها؛ ولذا فهو يُعَدُّ من الاستراتيجيات الفعّالة والمهمة التي تؤدي دورا مؤثرا في هذا المجال خاصة؛ وذلك إذا أمكننا توظيفه توظيفا متنوعا فعالا.

والسياق مفهوم قديم عَرَفه اللغويون، وأشاروا إليه في مصنفاتهم، وإن لم يرد صراحة بهذا اللفظ، فقد ذكره سيبويه في كتابه، وعبّر عنه بلفظ "الحال"، ومن ذلك ما ذكره في حذف الفعل في أسلوب التحذير عندما عقد بابا سماه "باب ما جرى منه على الأمر والتحذير"؛ حيث قال "وإنما حذفوا الفعل في هذه الأشياء حين ثَنَّوْا لكثرتها في كلامهم، واستغناء بما يرون من الحال، وبما جرى من الذكر، وصار المفعول الأول بدلا من اللفظ بالفعل، حين صار عندهم مثل: إياك، ولم يكن مثل: إياك لو أفردته؛ لأنه لم يكثر في كلامهم كثرة إياك، فشُبّهت بإياك؛ حيث طال الكلام، وكان كثيرا في الكلام" (سيبويه، 1988).

ولذلك نجد سيبويه قد اهتم بلغة العرب وتراكيبهم، وكيفية تصرفهم في ألفاظهم، فهو لم ينظر إلى اللغة نظرة تقريرية، وهو بهذا يكون قد مثل مرحلة الفكر اللغوي ونضجه السياقي، ووضع لنا أصول نظرية عرفت اليوم عند الغرب وجذورها الأولى عنده، ثم تتجلّى نظرية السياق بشقيها المقالي والمقامي عند ابن جني في خصائصه؛ حيث أشار إليها في مواضع متفرقة متناولا عناصر كل سياق في موضعه، ولقد وقفت على عدة نصوص له تدل على مدى عبقرية هذا الرجل، وبعد نظره في فهمه اللغوي، ولعمري إنه حاز قصب السبق في تناوله وفهمه هذا، ومن ذلك قوله "أولا تعلم أن الإنسان إذا عناه أمر، فأراد أن يخاطب به صاحبه، ويُنْعِم تصويره له في نفسه استعطفه ليُقبل عليه؛ فيقول له: يا فلان، أين أنت؟ أرني وجهك، أقبِل عليَّ أحدِّثك، أمَا أنت حاضر يا هناه، فإذا أقبل عليه، وأصغى إليه، اندفع يحدثه، أو يأمره، أو ينهاه، أو نحو ذلك، فلو كان استماع الأذُن مُغنيا عن مقابلة العين مجزئا عنه لما تكلّف القائل، ولا كلّف صاحبه الإقبال عليه، والإصغاء إليه" (ابن جني، د.ت.). لعمري إن كلماته الأخيرة لهي تلخص أمر نظرية السياق من مراعاة حال المتكلم والمخاطب معا، وكم كان ابن جني سابقا عصره، وذا بصيرة بأمر لغته، وأنه ليدرك يقينا أهمية مراعاة حال المخاطب في التفاهم اللغوي، وأن المتكلم إذا أمكنه تقديم تراكيب لغوية متنوعة إلا أن معانيها لن تكون مثلما يكون المخاطب داخل التركيب اللغوي الذي يعد المتكلم والمخاطب.

ومن ذلك أيضا تبويبه بابا سماه "باب في الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية"، ومما جاء فيه قوله "اعلم أن كل واحد من هذه الدلائل معتد مراعى مؤثر، إلا أنها في القوة والضعف على ثلاث مراتب: فأقواهن الدلالة اللفظية، ثم تليها الصناعية، ثم تليها المعنوية، ولنذكر من ذلك ما يصح به الغرض، فمنه جميع الأفعال، ففي كل واحد منها الأدلة الثلاثة: ألا ترى إلى قام، و دلالة لفظه على مصدره، ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله، فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه، وإنما كانت الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قِبَل أنها وإن لم تكن لفظا فإنها صورة يحملها اللفظ، ويخرج عليها، ويستقر على المثال المعتزَم بها، فلما كانت كذلك لحقت بحكمه، وجرت مجرى اللفظ المنطوق به، فدخلا بذلك في باب المعلوم بالمشاهدة" (ابن جني، د.ت.).

وفي أذكى محاولة لتفسير العلاقات السياقية في تاريخ التراث العربي إلى الآن (حسان، 1994). يقول عبد القاهر "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك، أن لا نظم في الكلم، ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل، ولا يخفى على أحد من الناس" (الجرجاني، د.ت.). ولا شك أن عبارة شيخ اللغويين عبد القاهر ترسم للمتمعن

فيها معالم النظام اللغوي عامة؛ حيث "لا نظم في الكلم، ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك"، وهذا – لعمرك – هو السياق عامة؛ حيث تتجلى المعاني عند ربط بعضها ببعض، وتعالق بعضها ببعض.

ويتجلّى الأمر وضوحا في موضع آخر "وإذ قد عرفت أن مدار أمر "النظم" على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها، ثم اعلم أنْ ليست المزيَّة بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تَعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض" (الجرجاني، د.ت.). وعن العلاقة بين اللفظ والمعنى يشير في نص آخر إلى ذلك في قوله "الألفاظ خدم للمعاني والمصرَّفة في حكمها، وكانت المعاني هي المالكة سياستها، المستحقة طاعتها، فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته، وأحاله عن طبيعته، وذلك مظنة الاستكراه، وفيه فتح أبواب العيب، والتعرض للشين" (الجرجاني، د.ت.).

ويتضح الأمر كذلك عند الإمام الشاطبي في قوله "والقاعدة في الأصول العربية أن الأصل الاستعمالي إذا عارض الأصل القياسي كان الحكم للاستعمالي، وبيان ذلك هنا أن العرب قد تطلق ألفاظ العموم بحسب ما قصدت تعميمه مما يدل عليه معنى الكلام خاصة، دون ما تدل عليه تلك الألفاظ بحسب الوضع الإفرادي، كما أنها أيضا تطلقها، وتقصد بها تعميم ما تدل عليه في أصل الوضع، وكل ذلك مما يدل عليه مقتضى الحال، فإن المتكلم قد يأتي بلفظ عموم مما يشمل بحسب الوضع نفسه وغيره، وهو لا يريد نفسه، ولا يريد أنه داخل في مقتضى العموم، وكذلك قد يقصد بالعموم صنفا مما يصلح اللفظ له في أصل الوضع، دون غيره من الأصناف، كما أنه قد يقصد ذكر البعض في لفظ العموم، ومراده من ذكر البعض الجميع" (الشاطبي، 1997). وكلام الشاطبي يبرز أهمية مراعاة السياق في تحديد المقاصد النحوية، ومرد ذلك للأصل الاستعمالي كما ذكر، وإن خالف الأصل القياسي، فقد تنتج معانٍ ودلالات يُنتجها السياق ربما لم يتعرض لها النحويون في نصوصهم.

وعرّف الدكتور تمام حسان السياق عندما تحدث عن العلاقة بين كفاية القرائن النحوية وتعدد المعاني؛ حيث يقول "ولما كان تعدد المعنى يكشف عن عدم كفاية القرائن النحوية الدالة على الأبواب المقررة كان معنى ذلك أن النمط التركيبي أصبح بحاجة إلى قرينة من خارج الجملة تعرف غالبا باسم "قرينة السياق"، وقرينة السياق هذه هي كبرى القرائن النحوية؛ لأنها قد تعتمد على شيء من هذه القرائن النحوية المفردة أو تتجاوزها إلى أمور دلالية من العقل أو من المقام المحيط بالجملة" (حسان، 1993). ونلحظ أن أستاذنا الدكتور تمام حسان قرأ التراث النحوي قراءة جديدة شاملة بعد استنطاقه للنصوص التراثية، وفي ربطه بين علوم اللغة، وما يخدم الجهاز النحوي ؛ حيث التآخي بين القرائن المعنوية والقرائن اللفظية وهذا الفهم جعله يؤسس دراسته على أساس مجموعة من القرائن.

ومن الذين أشاروا إلى أهمية مراعاة سياق البيئة اللغوية؛ حيث إنه يُسهم إسهاما كبيرا في فهم النظام النحوي ما أشار إليه الدكتور عبده الراجحي في قوله "ومن الحقائق المقررة في الدرس الحديث أن النحو – بما هو درس للتركيب أو الجملة — إنما يدرس "المعاني النحوية"، وليس "المعاني المعجمية"؛ أي أنه يدرس معاني الأشكال ذاتها، أو المعاني التي تؤدي إليها "البينة اللغوية"، والعلاقات التي تمثلها العناصر التي تتركب معا في كلام "إن النظام الداخلي للعلاقات هو أساس الوصف النحوي السليم، وهو نظام يقرر المعاني على المستوى النحوي في مصطلحات وظيفية مناسبة للغة موضوع البحث" (الراجحي، د. ت.). وأشار الدكتور حماسة إلى تأثير دلالة سياق النص وسياق الموقف على العناصر النحوية متناولا عدة أبواب نحوية تتجلى فيها هذه الظاهرة؛ حيث قال "ولا يمكن بحال نكران تأثير دلالة سياق النص اللغوي، وسياق الموقف الملابس له على العناصر النحوية من حيث الذكر والحذف، والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير. ولا يُنكر أن

دلالة السياق تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة بمفرداتها نفسها إذا قيلت بنصها في مواقف مختلفة، تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه" (حماسة، 2000).

ويرتبط السياق في جوانب اللغة ومستوياتها المختلفة، فهو الكفيل أحيانًا برفع اللبس، ودفع التوهم في الدلالة، انظر إلى كلمة السائل في السياقات الآتية: 1- العصير السائل أكثر صحة من الجاف. 2- ليس المسؤول بأعلم من السائل. حيث إن الأولى مشتقة من "سال" والثانية من "سأل". وكذلك فالسياق هو الذي يفرق في المعنى بين: من سيَحضر معنا الحفل الليلة؟ من سيُحضّر لنا العشاء الليلة؟ من سيُحضر لنا الطعام من المطعم؟ لا شك أن السياق فقط هو الذي يمكن أن يرفع اللبس ويساعد في ضبط الفعل وتحديد دلالته، حيث إن الفعل الأول سَيَحْضُرُ مأخوذ من الفعل الماضي حَضَرَ، والثاني سَيُحَضِّرُ من الفعل الماضي حضَّر، والثالث سَيُحْضِرُ من الفعل الماضي أحضر.

الخاتمة

وبعد أن قمنا بهذا العرض السابق يمكن ملاحظة ما يأتي: أولا، أن تراثنا اللغوي قديما وحديثا ذاخر بشواهد عديدة، ونماذج فريدة يمكن إعادة قراءتها، وتقديمها لمتعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها خاصة إذا بينا الدور الكبير الذي قدمه علماؤنا في خدمة اللغة العربية وعلومها. ثانيا، أن هناك ارتباطا وثيقا في بنية الكلمة بين لفظها ومعناها، وأن كلا منهما لا يمكن فصله عن الآخر بل هما لبنة واحدة. ثالثا، أن تناول بنية الكلمة في مستوياتها اللغوية المتنوعة الصوتية والصرفية والنحوية والسياقية يمكن أن يسهم إسهاما بالغا في تعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها وفهم معانيها من خلال الرؤية الوظيفية لهذه المستويات.

References

Al-Astrabazi, Sheikh Radhi al-Din Muhammad al-Hassan al-Nahwi (1982). *Sharh Shafi'ah Ibn al-Hajib*. Beirut: Dar al-Kutub al-Alami.

Al-Farahidi, Abu Abd al-Rahman al-Khalil bin Ahmed (n.d.). *Kitab al-'Ayn*. N.P.

Al-Ferozabadi, Majd al-Din Muhammad bin Yaqoub (2005). *al-Qamus al-Muhit*. Al-Resala Foundation.

Al-Jurjani, Abd al-Qahir Abd al-Rahman Muhammad (n.d.). *Signs of Miracles*. Jeddah: Al-Madani Press.

Al-Jurjani, Abd al-Qahir Abd al-Rahman Muhammad (n.d.). *The Secrets of Rhetoric*. Jeddah: Al-Madani Press.

Al-Majali, Ammar Erhail (2003). Precedents and Their Impact on the Structure of the Arabic Word: A Semantic Morphological Study. (Master Dissertation in Arabic Language and Literature, University of Mu'tah, Jordan).

Al-Rajhi, Abdo (n.d.) *Jurisprudence of Language in Arabic Books*. Beirut: Arab Renaissance House for Printing and Publishing.

Al-Sabban (n.d.). *A Footnote to al-Sabban's Commentary on al-Ashmouni's Interpretation of the Millennium of Ibn Malik*. Cairo: al-Tawfiqeya Library.

Al-Samarrai, Muhammad Fadel (2014). *Arabic Grammar, Rulings and Meanings*. Dar Ibn Katheer.

Al-Suyuti, Jalal al-Din Abdul Rahman Abi Bakr (1990). *Hamiya al-Hawa'*. Beirut: Scientific Books House.

Ammar, Rabea (2007). Arabic Word Structure and Phonological Laws. *Journal of Humanities*, *11*.

Belkacem, Bin Qattaya (2009). The Role of Linguistics in Teaching Arabic Language and Its Applications in First (Primary) Stage. (Master Dissertation in Arabic Language and Literature, Faculty of Arts and Languages, Kassadi University, Algeria).

Bishr, Kamal (1998). *Studies in Linguistics*. Cairo: Dar Gharib for Printing, Publishing and Distribution.

Hamasa, Muhammad (2000). *Grammar and Significance: An Introduction to the Study of Semantic Syntactic Meaning*. Cairo: Dar al-Shorouk.

Hasan, Abbas (n.d.). *Al-Wafi*. Cairo: Dar al-Maarif.

Hassan, Tamam (1993). *The Statement in the Masterpieces of the Qur'an: A Linguistic and Stylistic Study of the Qur'anic Texts*. World of Books.

Hassan, Tamam (1994). *Arabic Language: Its Meaning and Building*. Morocco: Dar al-Thaqafa.

Ibn Aqeel (1997). *Sharh Ibn Aqeel*. Beirut: Modern Library.

Ibn Faris, Abu al-Hussein Ahmad (1979). *Mu'jam Maqayis al-Lughah*. Dar al-Fikr.

Ibn Jinni, Abu al-Fath Othman (n.d.). *Characteristics*. Egyptian House of Books.

Ibn Manzoor (n.d.). *Lisan al-'Arab*. Dar al-Maarif.

Na'jah, Suhair Fathi Asaad (2001). The Structure of the Arabic Word between Semantic Stability and Phonetic Change. *Mu'tah for Research and Studies*, *16*.

Shaheen, Abdel-Sabour (1980). *The Phonetic Approach to the Arab Structure: A New Vision in the Arab Exchange*. Al-Resala Foundation.

Sibawayh, Abu Bishr Amr Othman Qanbar (1988). *Al-Kitab*. Cairo: Al-Khanji Library.